المنسوج: "وثيقة" تاريخية برؤية فنية
(تطبيقا على تجربة فنية)

Tapestry: Ahistorical "document" with an artistic vision
)applied to an artistic experiment(

د. بسمة منصور
أستاذة بالمعهد العالي للغات -جامعة قابس- تونس
D. Besma Mansour
Professor at the Higher Institute of Languages - University of Gabes - Tunisia
mansour.besma20@yahoo.fr

يعد النسيج من القطاعات التي لازمت الانسان منذ نشأ على سطح الأرض ومثّل مجال بحث عبر العصور، وقد طوّر في صناعته، فمنذ استخدامه المنسوجات لم يشاء ان تقتصر على الجانب الوظيفي، بل عمل على ان تكون الى جانب وظيفتها الأساسية أثرا فنيا يحمل أبعادا تعبيرية عن الهوية والمواطنة، تتضمن في فضاءها رسوما وأشكالا وزخارفه تعكس جانبا من الثقافة الشعبية. ولقدشهد فن النسيج تحولات وابداعات كانت نتيجة محاورة الفنان للموروث الثقافي بكل ذكاء وفطنة. لنقف اليوم امام منسوجات وثّقت بكل أمانة جانبا مهما من تاريخ البشرية عبر تقنيات نسيجية مختلفة وخامات متنوعة، ومواضيع متعددة تحاول جميعها سرد حياة الأجداد ومرحلة تاريخية مهمة من الحياة الانسانية، وقد تراوحت محاورة الفنان للموروث "النسيجي" بين المحاكاة والترميز (الايحاءات) وذلك بحسب أسلوبه الفني ورؤيته الذاتية... لتصبح المنسوجة بهذا الحضور تقنية فنية "توثيقة" لا فقط أثرا فنيا وحرفة يدوية، تقتصر على الجانب الوظيفي والمنفعة بل باتت من خلال محاورة الفنان من التقنيات الأساسية، لحملها رسائل فنية وغايات تشكيلية، تستوجب ضرورة الدراسة والبحث في مضمونها وعلاقتها بالتاريخ والعمل على الربط بينها وبين الماضي والحاضر واستغلال جميع تفاصيلها وجزئياتها وما تحمله من دلالات وخطاب تاريخي مثل الرموز والعلامات او المشاهد الفلكلورية...

وتبحث هذه الدراسةفي المضمون "النسيجي"وعلاقتهبالبيئة التي نشأ فيها، وكيفية الاستفادة من مكوناتهباعتباره يمثل جانبا تاريخيا عبر قراءة تحليلية لنماذج حرفية وتجربة فنية ذاتية، نرصد من خلالها علاقة الأصالة بالمعاصرة للتعبير عن الهوية والمواطنة، بخطاب يعكس الجانب "التوثيقي" والقيم الجمالية والتشكيلية في المنسوجة...

الكلمات المفاتيح:
المنسوج الفني، وثيقة تاريخية، الهوية

Abstract

Tapestry is one of the sectors that have accompanied mankind since it grew up on the surface of the earth and represented a field of research through the ages, and has developed in its industry, since its use of textiles, it did not want to be limited to the functional aspect, but it worked to be added to its basic function an artistic impact that carries expressive dimensions of identity and citizenship, including in its space drawings, shapes and decorations that reflect an aspect of popular culture. The textile art has undergone transformations and creations that were

the result of the artist's intelligent dialogue with the cultural heritage. Today, we stand in front of textiles that faithfully documented an important aspect of human history through different textile techniques and various materials, and multiple topics, all of which try to narrate the life of ancestors and an important historical stage of human life, and the artist's dialogue with the "textile" heritage ranged between simulation and (suggestions), according to his artistic style and self-vision...The tapestry, in this presence, becomes an artistic technique "documentation" not only an artistic impact and a handicraft, limited to the functional aspect and benefit, but has become through the dialogue of the artist one of the basic techniques to carry artistic messages and plastic goals, which requires the need to study and research its content and its relationship to history and work to link it with the past and the present and exploit all its details and parts and the connotations and historical discourse such as symbols, signs or folkloric scenes. This study examines the "textile" content and its relationship to the environment in which it originated and how to benefit from its components as it represents a historical aspect through an analytical reading of craft models and a subjective artistic experience, through which we monitor the relationship of authenticity with modernity to express identity and citizenship, with a discourse that reflects the "documentary" aspect and aesthetic and plastic values in the tapestry.

Key words:

Artistic Tapestry , Historical Document, Identity.

المقدمة

ينتمي المنسوج الى الأعمال التقنية التي برزت مع بدايات تأقلم الانسان مع الطبيعة، ونظرا لأهميته الوظيفية والمنفعية، كالحماية من البرد ويحمي من افتراش الأرض... فكان ان مثّل أداة منزلية هامة وقع الاهتمام بها وبشكلها الخارجي وبمضمونها الداخلي من زخارف وألوان واشكال، "فمنذ استخدامه (الانسان) المنسوجات في شؤونه المختلفة لم يشاء ان يقف بها عند حد المنفعة بل عمل على ان تكون الى جانب وظيفتها الأساسية أثرا فنيا ترتاح العين الى رؤيته ويبعث الاعجاب في نفوس إخوانه وعشيرته، فصبغها بالألوان ورقم عليها شتى الرسوم والأشكال وجمع بين اللون والزخرفة في كثير من الأحيان..." (عبد العزيز ١٩٧٠، ١١٩)ولعل ما يلفت الانتباه ويشد البصر محتوى الزرابي والمفروشات وما تنقله من مشاهد طبيعية وفلكلورية بأسلوب إيحائي ورمزي وقد يعمد بعض الحرفيين الى المحاكاة ورسم الوقع بالخيط والصوف بكل دقة وأمانة... وكأن الانسان يوثق جانبا من حياته عبر حرفة النسج،لتصبح المنسوجةقصة تحكي وتسرد تفاصيل زمانها الذي وجدت فيه، وتنقل انطباعات صانعها، وفي هذا السياق يعرف الدكتور عفيف بهنسي الفنان مقارنة بالصانع قائلا إن "الصانع يمارس عملا أليا هو من ينفذ أعمالا صعبة نسبيا، أما الفنان فهو الذي يبدع ويمارس عملا يشارك فيه الخيال والمهارة وعلى هذا فلقد اعتبر الصانع مطبقا لما يبدعه الفنان" (بهنسي ٢٠٠٣، ٢٧١).

مشكلة البحث:

1- كيف يتم تطويع المنسوج الفني للتعبير عن الهوية والمواطنة؟

2- أي دور تقدمه المنسوجات الفنية في مصر لترسيخ معاني الهوية والمواطنة؟

أهمية البحث:

هذا البحث محاولة في ابراز:

- أهمية المنسوجات الفنية وأيضا المنسوجات الحرفية ودورهما الريادي في المسار التاريخي وقدرتهما على التعبير عن الهوايةوالمواطنة.
- التكامل بين الحرفة والفن فكلاهما يعمل على توثيق جانبا مهما من تاريخ البشرية ولكن بأسلوبه الخاص.
- النظر الى المنسوجة من زاوية التعبير عن الهوية والمواطنة والاهتمام بها في ظل التطور التكنولوجي والتخلي النسبي عن الصناعة اليدوية

أهداف البحث:

يهدف البحث الى:

-قراءة المنسوجة بخطاب تاريخي فني (الجمع بين الشكل التقليدي والخطاب الفني في المنسوجة الفنية)

-العمل على ادراجها ضمن مناهج التعليم وإبراز ثراءها الفكري والثقافي والتاريخي والسعي الى تطويرها فنيا

-البحث في مقومات العلامة التراثية ضمن المنسوجة الفنية المعاصرة

فروض البحث:

-إمكانية الكشف عن القيمة الجمالية والتاريخية والفنية للمنسوجة عبر انفتاح التقنية على جميع الأنساق الفكرية

-اعتماد المنسوجة جزء من تاريخ البشرية للتعبير عن الهوية والمواطنة.

الخطوات الاجرائية:

يتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال:

أولا:

- تحليل بعض التجارب الفنية والحرفية التي تمكنت من توثيق الواقع وكانت لها صلة بالتراث وتعبر عن الهوية والمواطنة.

-تحديد مفاهيم البحث.

ثانيا:

قراءة لتجربة تطبيقية ذاتية اهتمت بموضوع الهوية والمواطنة ضمن المنسوج الفني

حدود البحث:

الحدود الموضوعية:أعمال النسيج الحرفي في بعض الاعمال النسيجية المصريةالمشبعة بالتعبيرات التاريخية والفلكلورية،تعزيزاللهوية الوطنية وملهما فنيا ومجالا للنهل التشكيلي. والحدود الزمانية: الجمع بين المنسوجات التراثية والمعاصرة. أما الحدود المكانية: نماذج من تجربة الفنان الحرفي العربي محروس والفنان محمد محي.

المنسوج بين جدل التوظيف والتأريخ:

ان لكل مجتمع تراثه الذي يعبر عن هويته ويدون تأريخه و"الهويةهيتاريخ،وليست طبيعة، وأي تاريخ لا يكون تاريخا دون تفاعل معالزمن، وهذا التفاعل هو الذييطرحلنا التغير الذي هو الصيرورة، وأي تغير من شأنه إيجاد عادات تقومبالتفاعل والإزاحة لعادات ماضية وثقافات تقوم هي الأخرى بالتفاعل والإزاحة لثقافات ماضية" (سليم1999، ص ٢.) وحسبنا هنا ان نتناول من الهوية أحد النماذج المعبرة عليها وهي المنسوجة، التي مثلت جزء من تاريخ البشرية لذلك وقع الاهتمام بها من قبل عديد المنظمات الدولية مثل منظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة اليونسكو التي دعت في اتفاقياتها الى ضرورة صون التراث اللا مادي سنة ٢٠٠٣ "الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات، وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية، والتي تعتبرها الجماعات والمجموعات، وأحيانا الأفراد، جزءاً من تراثهم الثقافي. وهذا التراث الثقافي اللا مادي المتوارث جيلا عن جيل، تبدعه الجماعات والمجموعات من جديد بصورة مستمرة، بما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة ومع تاريخها، وهو ما ينمي لديها الإحساس بهويتها والشعور باستمراريتها، ويعزز من ثم احترام التنوع الثقافي والقدرة الإبداعية البشرية".(قائمة التراث اللا مادي ٢٠٠٩، ص٧). وقد شهدت المنسوجات تنوع واختلاف في المضمون وذلك بحسب البيئة التي وجدت فيها لتوثق بأسلوب مباشر طبيعة العيش ونمط الحياة، ونلاحظ الاختلاف في محتوى المنسوجات النفعية بين مضمون حكائي يتناول صورا فلوكلورية واخرى رموزا وعلامات.

- المنسوج "الحكائي":

بالرجوع الى عديد المنسوجات النفعية عبر الازمان تشدنا تلك الدقة في حياكتها ورصف الخيط، لرسم وقائع من الحياة بكل أمانة، لغاية المتعة البصرية والتزويق وبعث الراحة النفسية ويثير "الاعجاب في نفوس إخوانه وعشيرته، فصبغها (الانسان) بالألوان ورقم عليها شتى الرسوم والأشكال وجمع بين اللون والزخرفة في كثير من الأحيان..." (عبد العزيز ١٩٧٠، ص١١٩)، فهي بالنسبة له لا تقتصر على المنفعة بل يدرك ان لها دورا اخرا وهو التأثير نفسي، لذلك عمد الى الاعتناء بمحتواها من اختيار شكلي ولوني، ومن المنسوجات اليدوية التي ندرجها كمثال في هذا السياق تجربة الحرفي عربي محروس والحرفي محمد محي وهي تجارب مصرية، عمدت الى توثيق الحياة اليومية بكل دقة، في الأرياف والأماكن الاثارية والأشخاص والاحداث، لتروي عبر أشكالها نمط الحياة المصرية بخطاب حرفي، فالحرفي في هذا السياق يبرز مدى ارتباطه بواقعه ومحيطه ليقع تجسيد مشاهد اصلية بكل حرفية، مشاهد نسيجية توثق جزء من عالمه اليومي او فترة زمنية او واقعة تاريخية.. ويعدُ "النسيج اليدوي، من أقدم وأعرق الصناعات اليدوية والتراثية في مصر، فقد توارثته الأجيال على مدار القرون الماضية. "(عبد الحليم ٢٠١٩)

أحيانا ترحل بنا المنسوجات اليدوية الى الاعتقاد بأننا أمام لوحات زيتية لجمال تفاصيلها ودقة رسم اشكالها، فمنسوجة ريف مصر(الصورةعدد١) تعبرعن التوثيق اليومي، والمعتاد في الريف المصري، والممثل في أشخاص وحيوانات، لتعبر بهذه المكونات عن الطابع الخاص الذي تحضى به هذه المنطقة من لباس ووضع معيشي لان "الهويات البشرية دوماً ما كانت من الشؤون المحلية، وأنها رواسب بعض أشكالالحياة المعتادة، ولا ترمز أبداً إلى النمط العام من الجنس البشري... فأيوجهة نظر نتبناها تنتمي إلى نمطمعين من الحياة والممارسات التاريخية التي تشكل هذا النمط؛ فهي تعبير عن هوية بشرية محددة تاريخياً وليست هوية بشرية عالمية (عالم المعرفة 201١).

الصورة رقم ١: الفنان الحرفي عربي محروس، ريف مصر، منسوجة، الطول ٢,٤ صم العرض ١,٦٥ صم، ٢٠٢٢

لقد عمد عربي محروس عبر منسوجاته الى توثيق بعض جزئيات الحياة اليومية في مناطق مختلفة من مصر وما منسوجة "ريف مصر" الا نموذجا يحكي بالصور نمط العيش في بلاده، وربما يذكرنا هذا العمل بأعمال محمود سعيد ومحمد ناجي وراغب عياد... في رسم مشاهد تعبر عن عالمهم، وكذلك تناولت المنسوجات اليدويةحيث " مناظر طبيعية، وتكوينات من البيئة المصرية، والتراث العربي والإسلامي، إلى جانب أعمال المستشرقين التي تبرز أصالة وروعة الحضارات والطبيعة في المنطقة، إضافة إلى الآيات القرآنية، واستلهام بعض الأفكار من الحضارة الفرعونية." (عبد الحليم، ٢٠١٩).

يزخر تاريخ الفن بعديد التجارب الفنية لمستشرقين اهتمت منجزاتهم التشكيلية بالحضارات العربية مثل تجربة الفنان ردولف ويسRudolf Weisse " الذي تخصص في تصوير الجمال الباريسي ومشاهد الشارع الاستشراقية في القاهرة (...) كانت الكثير من موضوعاته منصبة في تسجيلا لمشاهد الشرقية حيث البيع والشراء في الاسواق وآداء الصلاة في المساجد والدعاء، وقراءة القرآن الكريم واعتنى كأي فنان مستشرق بنقل صورة واضحة للمباني والزي العربي من حيث الثوب والرداء بألوانها الزاهية." (بن احمد بوبكر ٢٠١٨، ٧٩٢-٧٩٣)

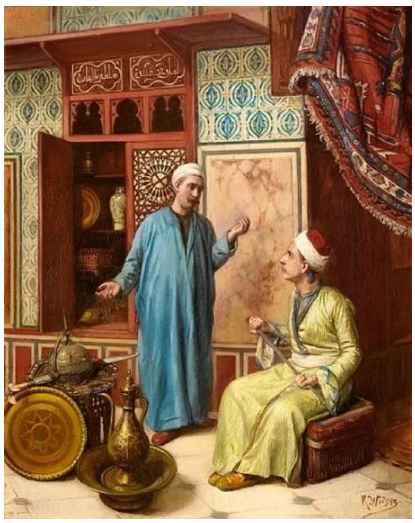

الصورة رقم ٢: ردولف ويس، تاجر السلاح، زيت على لوح، ٤٦*٣٧صم

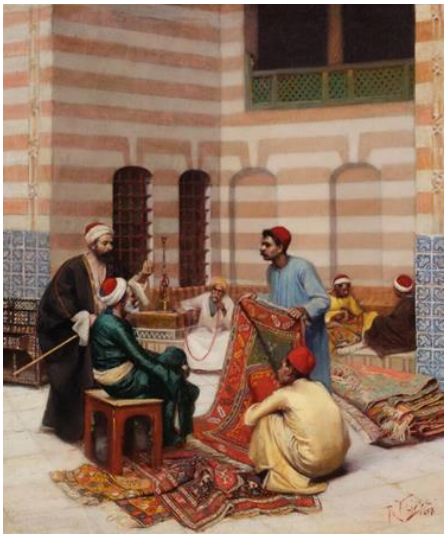

الصورة رقم ٣، ردولف ويس، تاجر السجاد، زيت على قماش، ٥٧*٧,٥٤صم، ١٨٩٧

وفي منسوجة أخرى، يعمدُ عربي محروس الى نقل جانب من الحضارة الفرعونية عبر نسج "الملكة نفرتارى" محاطة بالكتابة الفرعونية، لتصبح المنسوجة قطعة تاريخية توثق جانبا من تاريخ مصر، ف"ثقافة أي أمة تتكون من ركيزتين مهمتين إحداهما شفوية مأثورة بين الناس وتتناقل وتستمرعبرالذاكرة وهي تمثل مادة العمل البحث الفلكلوري والثقافة الشعبية للمجتمع والأخرى مدونة ومؤرشفة تمثل مادة البحث التاريخي" (عبد الرحمان ١٩٧٧، ص ٢٣)

الصورة رقم ٤ : الحرفي عربي محروس، عمل فرعوني عن الملكة نفرتاري، منسوجة،القياس ١,٦٥صم*١,٧٥صم

والمشهد التاريخي له أثر نفسي في المشاهد فهويمثل الرابط بين الحاضر والماضي لذلك فالفنان والحرفي مطالبان بالمحافظة على هذا الارث وان "يتخلصا من التبعية للغرب ولا ينجرف خلف كل ما هو معروض أمامه. فتجارب الغرب نتجت بلاشك من تراكم تاريخي خاص بهم وأنتجت فنانيهم، وفرضت عليهم ثقافتهم ونوعية فنهم" (اليحياوي٢٠١٨، ص ١٢٤)

وفي تجربة يدوية اخرى مماثله تشدنا منسوجات محمد محي عبر توثيقها لمشاهد من الريف المصري والحياة اليومية، "سعت إلى جذب العيون بأشكالها الحية منطلقة من المخزون المصري لتقص لنا تجربة الحياة المصرية بطابعها البدوي، ولتحمل منسوجاته توثيقا لمستجدات الحياة في الريفوالمدينة، فللوهلة الأولى قد تخدعنا أعماله ونظنها لوحات زيتية لشدة التشخيص والرسم. مبرزة ملامحالهوية العربية والوطنية بكل دقة، فالفنان استلهم مواضيع منسوجاته من التراث العربي والإسلامي والفرعوني.وتعد تجربته من بين التجارب الفنية التي نستشف فيها خطاب التأكيد على ضرورة أن يكون الفن توثيقاوترسيخا لمعاني الهوية والمواطنة. حيث بساطة الريف تظهر بشكل جلي من خلال البيوت والدواب والمزارع ونهرالنيل والأشخاص بلباسهم التقليدي) العمامة والجبة... (. مشهد وإن كان مختزلا إلا أنه صور طبيعة الحياةاليومية" (منصور ٢٠٢٢، ص ٢٠٧)

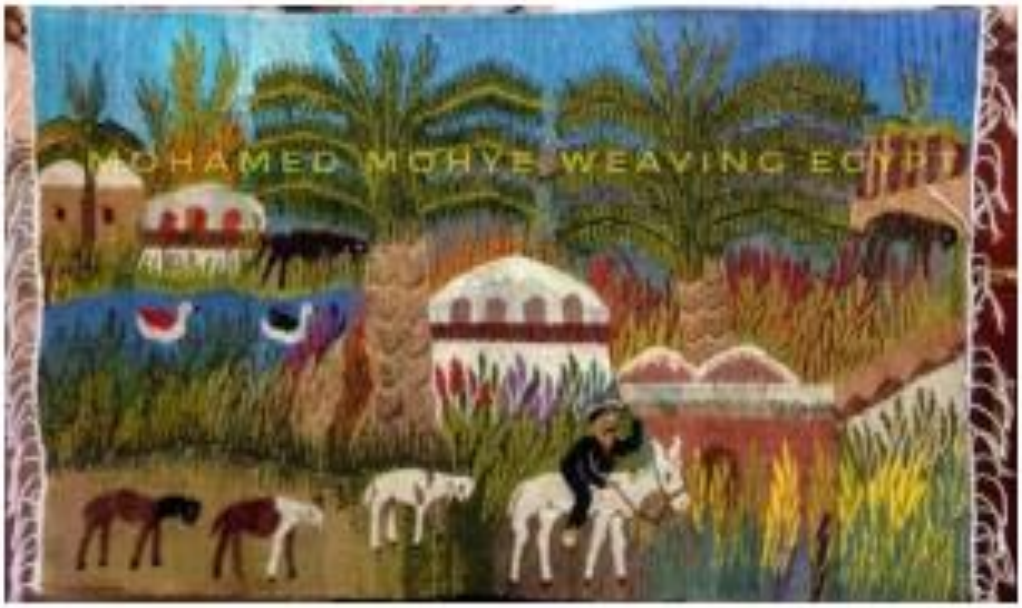

الصورة رقم ٥: محمد محي، الريف المصري، منسوجة بوجهين متشابهين، بخيوط القطن والصوف الطبيعي،مقاسها: ١٠٠*١٢٠ صم، سنة ٢٠٠٩

بهذا الأسلوب الحرفي جمعت ودونت المنسوجات بعض من الحياة المصرية، فعملية المحاكاة عبر تقنية النسج تستوجب الدقة بالرسم "الخيطي" وأي خطأ قد يغير ملامح الفكرة، فمن الواقع والتاريخ استمد النساج موضوع أعماله، وهذا الاستدعاء ان كان لغاية توثيقية او جمالية فسيترك حتما أثرا في النفس، لذلك يعتبرا "نوع من الفولكلور الذي يقع تكراره في شكل تقليد متوارث. إلى تصور يتناول التراث بوصفه مادة طرية وطبعة تنفتح على لا نهائية من الإمكانات الإبداعية، تصوير يؤسس للتراث مكانا في الحداثة وللحداثة...مكانة هامة في الرعي بالتراث... والأمر يتعلق هنا بنقلة تحويل مزدوجة للتراث ولعلاقة الإبداع به من كونه قوة جاذبة إلى كونه قوة دافعة. لعلاقة الإبداع به من كونها علاقة تبنى إلى كونها علاقة بناء مستمر. نقلة من النشأة إلى الإنشاء. من النشأة الآلية المطمئنة في التراث إلى إنشاء الذات لنفسها والتراث معا. إنشاء حرا ومتوثبا وينفتح على مستقبلية الرؤية" (قويعة ٢٠٠٧، ص ٣٣).

- **المنسوج الايحائي:**

لئن اختلف المضمون والشكال بين المنسوج "الحكائي" و"الايحائي" فالغايات ذاتها البحث في الموروث الثقافي اللا مادي والعمل على احيائه عبر منسوجات نفعية تعمل على تزويق وتزيين الأماكن بأعمال ومنتوجات تراثية، ويعمل كل نساج على استحضار المنسوجات عبر تكرارها ونقلها بين الاحفاد دون تغيير او تحريف، لتصبح صنعة متداولة دون تجديد او إضافة، وفي المقابل قد يسعى بعض الحرفيين الى تغيير النمط المعتاد والشكل المألوف للمنسوجة والمحافظة على بعض رموزها وألوانها... والهدف من ذلك استحضار أبعاد التراث لأسباب جمالية، حيث إقامة الأصالة ضمن ربوع منتوجات معاصرة لاستقطاب المستهلك وترويج بضاعته.

ونعني بالمنسوج "الايحائي" المنسوج الذي يحتوي على رموز وزخارف وأشكال مختزله لها علاقة بالبيئة التي وجدت فيها، ل"تشير الاشكال التي ترسم بغرض زخرفة الأواني والمنسوجات والاثاث وغيره من أعمال فنية لدى الإنسان الأمازيغي إلى قدرته على تكييف كلما يوجد حوله من ظواهر، سواء كانت تتعلقب المناظر الطبيعية والبيئة المادية المحيطة أو ما

يتعلقب الحكايات والأساطير والأخيلة، بل حتى ما يتعلق بالتاريخ وخصوصاً الاحتكاك والتأثربالحضاراتالأخر" (شافعي، ب، ص ١٦٢)

كما نعني بالرمز " علامة او إشارة الشيء ما او ما يعبر عن هذا الشيء، فهو شكل يشير الى مدلوله بعلاقة غير مباشرة فنجد ان الرمز مضمون فكر بتعبيري او ايحاء شكلي يدرك مرئيا او حسي او له دلالات واهداف موجهة بشكل مباشر او غير مباشر متعلق بالحياة بجميع نواحيها" (بهنسي ١٩٨١، ص ١٢٠) وحسبنا هنا المنسوج الامازيغي (الصورة رقم ٤) فتلك الايقونات التي تأثث فضاء "البساط" او "الزربيه" ذات صلة بالموقع الجغرافي، ولكل رمز تسميه كالأسماك، الافعى، المشط، الأسد، الجمال...وهذه الاشكال المختزلة تعكس بصورة مختصرة مكونات الموقع الجغرافي الذي نشأت فيه.

صورة عدد٦: الكليم المطماطي (قرية بالجنوب التونسي) يضم رموز أمازيغية

كما نجد أيضا منسوجات تعكس الحضارة التي وجدت فيها وكمثال لذلك المنسوج القفصي (وهي منطقه تقع بالجنوب التونسي) المليء بالصور والحكايات عن ماضي الأجداد حيث نجد رمز الجمال والرجال والنساء... لتعبر عن "قوافل الجمال" التي كانت تمر بتلك المنطقة. وعرفت هذه المنطقة بمنسوجات النساج "حميدة وحاده".

تحمل منسوجات "وحادّة طابعا خاصا له يروح بين الموروث ورؤيته الخاصة وما اكتسبه من تقنيات فنية مثل التصميم والرسم، ليحاول تطبيق هذه المعارف الفنية ضمن منسوجاته عبر تغيير الملامح المألوفة "للكليم" سنة ١٩٥١ تحت اشراف جاك رودولف. لتصبح منسوجة جدارية، عبر تقديم صورة جديدة لها، من خلال تغيير الشكل المعتاد لمكوناتها. وتقديم نمط جديد وتقسيم أخرى لتموضع الرموز. (Dlimi,1992, p8)

والمنسوج القفصي يحتوي على أشكال تتراوح بين التشخيص والتجريد، يجسد الحياة البدوية والتنقل والترحال من الجنوب الى شمال عبر قوافل الجمال (الصورة رقم ٤) محاطة بالنساء والرجال والأطفال بألوان مختلفة وأحجم متنوعة يغلب عليها التكرار والتناظر والنظام.

صورة رقم ٧: منسوجة تقليدية، من الجنوب التونسي

من خلال هذا المنطلق تولدت نسجيات "حميده وحاده"، غير انه حافظ على مكوناتها من رموز وأشكال، لما يحمله من طابع دلالي وتعبير عن المواطنة والهوية، وهو ما اختصت به تلك الجهة، فللمضمون أبعاد جمالية وصلة قوية توثق "الحضارة القبصية" (نسبة الى قفصة). فالممارسة الحرفية تساهم بشكل كبير في المحافظة على جانب من التراث فهي بذلك تعمل على "حفظ شعوريا أو لا شعوريا في العقائد والممارسات والعادات والتقاليد الجارية في الاساطير وقصص الخوارق والحكايات الشعبية والتي لاقت قبولا عاما (...) هذا التراث الذي ينتقل من شخص لآخر قد حفظ عن طريق الذاكرة أو الممارسة، أكثر مما حفظ عن طريق السجل" (قانصو ١٩٧٨، ص ١٥)

لقد نهل حميده وحاده من التراث ليقدم شكلا جديدا للمنسوجات النفعية عبر تغيير نظام الرموز، وجعل فضاء "الكليم" مجالا تحكمه المربعات (الصورة رقم ٥) وكأننا أمام تقسيم شطرنجي؛ ويسمى بلغة الحرفيين "بيوت" بمعنى المنازل؛ وهو تقسيم محكم تتساوى فيه جميع المربعات ويحدها شريط بالطول والعرض، ويضم كل منهم رمزا مأخوذ من السجاد التقليدي. بهذا الأسلوب وقع تجديد المنسوجة ووقعت الإضافة، لتظل استمراريته وحمايته من الاندثار، فما تحمله المنسوجات من تعبيرات قد لا نجدها موثقه كتابيا ولكن قد تشير اليها بعض الصناعات.

صورة رقم ٨: حميدة وحادة، الكليم القفصي منسوجة حائطية
منسوجة حيكت بورشات الديوان القومي للصناعات التقليدية بقفصة

جدل التراث والأبداع الفني في المنسوجة الفنية: (قراءة لمعرض شخصي)

يخترق الفن سكون المنسوجة التقليدية ليبعث فيها الحياة ويصيغها من جديد، فيبعثها مرة أخرى وكأنها ولدت بعد اندثارها لتمثل أمامنا بهيئتها الجديدة جامعة بين الاصالة والمعاصرة، معلنتا بحضورها جمالية أشكالها وألوانها حيث الإبداع الفني يدفعها لتخلق لغة تشكيلية معاصرة، تواكب بها عصرها، في هذا المجال يقول المفكر الراحل محمود أمين العالم: "إنأخطر ما تعرضت له هويتنا هو جمودها واستغراقها في استنساخ رؤية ماضية وفرضها على حاضرنا، وإنأخطر ما تتعرض له هويتنا هو عزلها عن عصرها باسمالأصالة، على أن أخطر ما تتعرض له هويتنا كذلك هو فقدانها لذاتها الواعية ولقدراتها العقلانية النقدية الإبداعية وضياعها في تقليد، أو خضوعها لخبرات سياسية واجتماعية واقتصادية أو ثقافية لا تصلحلأوضاعنا واحتياجاتنا الخاصة". (أمين، ١٩٩٥)

ولتبلغ المنسوجة الفنية ما بلغت له اليوم من إبداع فني يجعلها مصدر بحث تشكيلي، وتمثل في قاعات العرض الفني: هو كل ما مرت به من أشواط كبيرة، منذ أن أصبح ينظر إليها كتقنية قابلة للتشكّل لكل مايفرضه خيال الفنان. فتحولت من منسوجة وظيفية ونفعية إلى منسوجة فنية، مما دفع بالفنان وحثه على البحث فيه او البلوغ بها إلى مرتبة الإبداع، فكما سعى الرسام والنحات إلى إنتاج أعمال غير مألوفة تبهر الناظر بتركيباتها الجديدة وتقنياتها المزدوجة اللامعهودة كذا الشأن أيضا للفنان النساج الذي اتخذ من الصوف والخيط والقماش بأنواعه مصدر بحث جاعلا من ورشته مخبرا يجري فيه تجارب جديدة على قطع من النسيج ليطلعنا في النهاية على أعمال لم نشهدها من قبل، ومستفيدا في نهاية كل تجربة من النتائج التي تعطيها المادة والتقنية ومتكأ في ذات الوقت على تجارب فنية أخرى. فسرد الصوف ليس مثل سرد الأحداث والأساطير، وليست الحياكة مثل الحكاية الشعبية التي تتوارثها الأجيال في شكل رموز منقوشة على الصوف... بل يتضمن فن النسيج فردية الذات المبدعة وطريقتها إلى الوجود، بنسجه للصوف إنما ينسج الفنان ذاته " (قويعة، ١٩٩٨)

ليصبح فعل الفنان كشفا مستمرا عوض أن يرتبط بأشكال وأساليب تراثية مختلفة ومتحررا من كل القيود. وتتجلى"رغبة الفنان مصورا كان ام نحاتا في البحث عن هوية عربية متميزة في الفن، عن طريق العودة الى مخلفات التراث ومحاكاة ما قدمه السلف مع بعض التحوير" (بهنسي ٢٠٠٤، ص١٣) وقد دعت منظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة اليونسكو ضمن اتفاقيتها سنة ٢٠٠٩ الى الاحاطة بالتراث اللا مادي احيائه بقولها: "ومن المهم كذلك ان نذكر أنفسنا بأن التراث الثقافي غير المادي، بوصفه كيانا حيا، يمكن ان يزول اذ انحصرت وظيفته الاجتماعية" (قائمة التراث اللا مادي ٢٠٠٩، ص ١٢).

ان ما يقدمه الفن اليوم من تجارب فنية في كل الاختصاصات يدفعنا لنقّر بأن لا شيء يستعصي عليه، فكل الأفكار قادرة على ان تترجم واقعيا، وكل الأشكال السريالية بإمكانها المثول أمامنا، وبإمكان جميع الخامات المختلفة الصنع ان تجتمع فتتجانس وتتعايش في فضاء واحد وتقوم بالدور ذاته. ليضعنا أمام دراسات متنوعة وجدليات عدة ولنا خير شاهد في ذلك ما سيقع تناوله في تقنية النسيج الفني حيث سيضعنا البحث لدراسة جدلية العلاقة القائمة بين الأزمان باستحضار الماضي في الحاضر، جدلية المواد من خلال جمعه الصوف مع خامات مختلفة، وجدلية التقنية بالتقاء تقنية النسج مع النحت مثلا...

وفن النسيجلا يعد مجرد وسيلة نبحث من خلالها عن الابداع والخروج عن المألوف، من مظاهر وصور وأشياء نسعى بتحويلها باسم الفن، بل هو طموح الفنان الذي يدفعه ليغوص في اغوار الأشياء والتقنيات الفنية، فيبحث عن ماذا يمكن ان يقدم الموروث النسيجي للفن؟ وماذا يمكنه ان يقدم الفن للنسيج؟ عبر خطة مدروسة وممنهجة يبحث ضمنها عن خطة بنائية

تحتكم الى وعيه ولاوعيه، ليقدم المألوف بشكل جديد، قد يكون غريبا وعجيبا، ينتسب الى الواقع او ينفلت منه، فيخلق الدهشة ويثير حيرة المشاهد حول بنائية الأثر وتكوينه.

ومسألة التوثيق في الفن تعتمد على ضرورة استحضارالابداع في المنسوج الفني،وهي من الاطروحات التي تضعنا امام اهداف وغايات الفن المعاصر، ولان الدراسة بهذا الشكل ستنفتح على مجال واسع من الفنون والتجارب الفنية فالباحثة خصصته لقراءة تجربتها التي سعت فيها الى محاولة الجمع بين الاصالة والمعاصرة والهوية والتفرد "فالفن هو التعبير بلغة الشكلواللون والحجم، عن الانفعالات والأحاسيس والمشاعر التي نشعر بها اتجاه مواقف حياتنا اليومية، كما أنهتنمية لإدراكنا الحسي بدراسة موجودات الطبيعة، وتدريبه على كل ما يجمل حياتنا ويرفع من سويةأحاسيسنا ومشاعرنا من خلال المعالم الجديدة للجمال التي تدخل البهجة إلى نفوسنا"(الكوفحي٢٠٠٦، ص ١٠)

فالتجربة الفنية لديها نابعة من الداخل ونقصد "بالداخل الذات الخاصة بالفنان بما فيها أفكارهومعتقداته ورموزه، فأي رحلة فن عادة ترتبط بذات الفنان وتجاربه وما يحمل من أحاسيس ومشاعر،وبالتالي الداخل قد يكون الشعور والإحساس الذي يحاول الفنان التعبير عنه، وقد يكون المكبوت من أفكارومعتقدات، وقد يكون الهوية التي تمثل ذواتنا وتميزنا عن الآخر(العامري ٢٠٢٠، ص ١١)

الصورة رقم٩

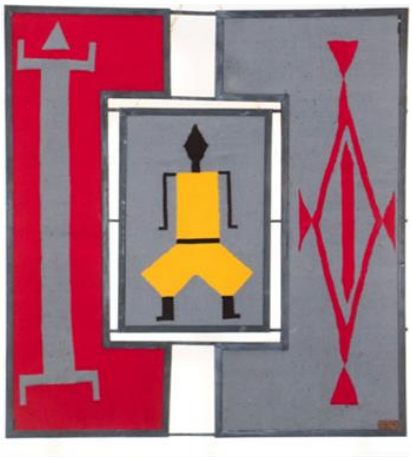

الصورة رقم ١٠

الصورة رقم٩: بسمة منصور، منسوجة بعنوان "امرأة"، صوف وجلد ولوح، ١١٨*١٣٤صم،٢٠٢١
الصورة رقم١٠: بسمة منصور، منسوجة بعنوان "رجل"، صوف ولوح،١٣٢*١٤٣ صم،٢٠٢١

الصورة رقم١١: بسمة منصور، منسوجة بعنوان " عُرس"، صوف، ١٤٠* ١٠٥صم، ٢٠٢١

الصورة رقم ١٢ الصورة رقم ١٣

الصورة رقم ١٢: بسمة منصور، منسوجة بعنوان "جدار"، صوف ولوح منقوش،١٧٥*٩٥صم ٢٠٢١
الصورة رقم ١٣: بسمة منصور، منسوجة بعنوان " انفصال"، صوف ونحاس، ١,٤٦*١صم،٢٠٢٢

سعت الفنانة في هذه الأعمال الى استحضار الرموز التراثية وادراجها ضمن منسوجاتها الفنية لتقدم أعمالا نسيجية مخالفة لما اعتدنا على رؤيته، فعملية التوثيق جمعت بين الاصالة والمعاصرة، باعتبار ان "التراث ليس كيانا ثابتا موجودا هناك، بل إن التراث يسير معنا في رحلة الزمان ولا مفر من أن نعمل علىربطه بحاضرنا وتوظيفه كقوة توجه حياتنا" (بهنسي ١٩٩٧، ١٠٢). لذلك نجد حضور رموز مختلفة وجميعها تعبر عن الهوية، فهي مأخوذة من السجاد التقليدي والكتابة الامازيغية ومن الوشم، وقع توظيفها بأسلوب عشوائي ودمجها في الصوف وعبر اللوح المنقوش.... فالمنسوجة لديها مجال لالتقاء خامات مختلفة وتقنيات متنوعة. (والجدول ١ التالي يوثق بعض الرموز المأخوذة من السجاد وكيفية توظيفها في المنسوجات الفنية.)

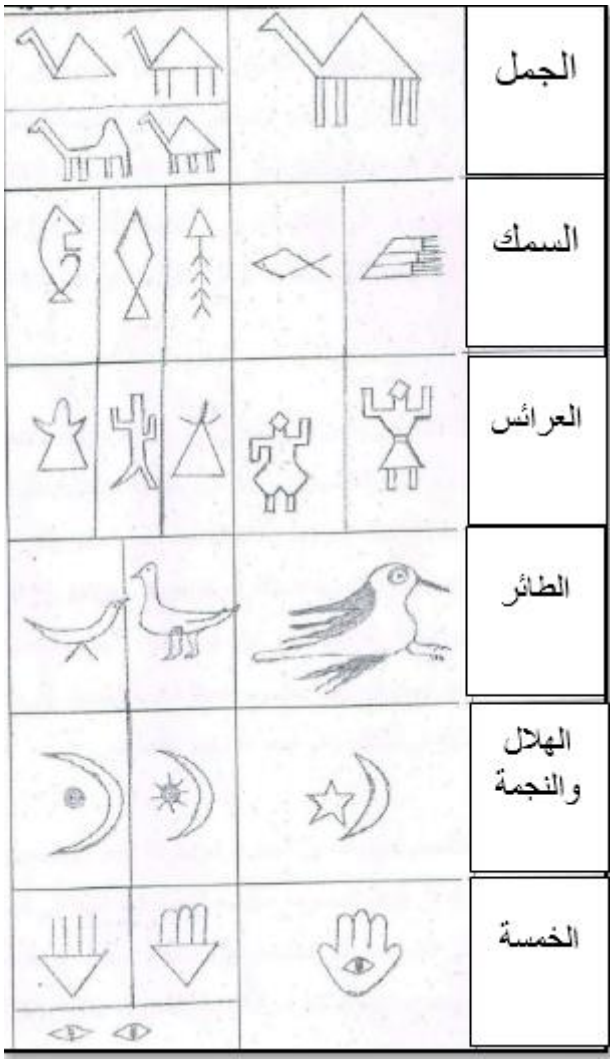

الرموز موظفه في المنسوجات واسماءها

لقد اخترقت المنسوجة حدود الوظيفة ليتسع مجالها الى الفن حيث المستحيل يصبح ممكنا بجمعها ل"أكثر من خامة في العمل الفني الواحد من خلال التوليف بينها واندماجها وتعايشها معا، مما يؤكد على تحقيق القيم التعبيرية والجمالية لتشكيل العمل الفني" (خميس ٢٠٠٨، ٢٤). وهنا نقاط الاختلاف، فمن النهل الى الاستلهام فإحداث الاختلاف والتجاوز،لتتزاحم في العمل الواحد الرؤى التعبيرية من أشكال وخطوط وألوان، فلم تشأ الفنان الوقوف عند النهل بل جعلت منه مطيتها التي تعبر بها الى احداث منسوجات فنية تلتقي مع السجاد النفعي وتختلف عنه من خلال جمع المتناقضات، ولعل في تجانس المتناقضات والتقاءها في الفضاء الواحد كان السبب في جعل الأعمال تنحرف عن المعتاد، من خلال جمع الملاء والفراغ، اللين والصلب، الحركة والثبات، الخامات المختلفة، رموز السجاد مع رموز الوشم...هواجس تبثها هذه التجربة عبر "الخروج عن المألوف، ولهذا في نظر بودلير كل جميل غريب، لأن المألوف هو ان يبقى الإنسان سجين نفسه وسجين العالم" (جاند. ب، ص ٧)

ان تجربة البحث في الموروث اللا مادي من خلال الفن تعمل على الحفاظ على التراث وتداوله، هذا الى جانب تجديده ليواكب عصره و"لقد حاول بعض الفنانين أن يستمد من الوشم ومن الصيغ الفنية الشعبية التي نراها على الملابس والبسط وعلى البيوت والاواني، وهي عناصر رمزية، أو ملحمية أو أسطورية. وكان أحمد الشرقاوي (المغرب) أبرز مصور استغل

هذه العناصر أحسن استغلال لتكوين أسلوب لا مجال للشك بأصالته وحليته. ولا بد من ذكر سيد عبد الرسول (مصر) في مواضيعه الواقعية وليس الرمزية، التي استمدت من أعماق البيئة المصرية." (بهنسي ٢٠٠٤، ٢٣٩).

نتائج البحث

توصل البحث الى

-استخدام الرموز وعلامات التراثية كعنصر تأثيثي وتعبيري عن الهوية والمواطنة

- المنسوجة صنعة وحرفة قابلة للتشكل الفني من خلال دمج الخامات المختلفة والتقنيات المتنوعة

- بإمكان ادراج المنسوجة ضمن محاور مادة التاريخ لطالما وقع ادراجها ضمن اهتمامات "اليونيسكو" نظرا لتوثيقها لمراحل تاريخية

- تضم المنسوجات النفعية ابعادا جمالية تصل بها الى حد مرتبة المنسوجات الفنية

توصيات البحث

-الاهتمام بالمردود الفني والحرفي في قطاع النسيج

- العمل على ادراج المنسوجة ضمن مناهج التعليم، وتوعية الأجيال الصاعدة بأهمية هذا الموروث

- على الفنان ان لا ينساق انسياق كلي نحو الإنتاج الغربي ويعمل على احياء هويته امام ما نشهده من اكتساح للفن الغربي وبالتالي ضرورة المراوحة بين الاصالة والمعاصرة

- ضرورة احياء قطاع النسيج اليدوي وتأطيره فنيا (بمعنى التعاون الحرفي الفني)

المراجع

-أيوب،عبد الرحمان، الآداب الشعبية والتحولات التاريخية والاجتماعية، مجلة الفكر العدد الأول، الكويت،

- Ayoub (Abdul Rahman), Popular Literature and Historical and Social Transformations, Al-Fikr Magazine, Issue 1, Kuwait, 1977

- أمين، محمود،(١٩٩٥)، حول مفهوم الهوية، مجلة العربي

-اليحيائية، فخرية، (٢٠١٣)،رموز الهوية ودلالاتها في لوحات الفنان التشكيلي العماني، عمان: للطابعاتوالقرطاسية.

-Al Yahya, Fakhria, (٢٠١٣) Identity symbols and their implications in the paintings of the Omani plastic artist. Ministry of Heritage and Culture (edited), Omani Plastic Art: The Reality of Practice and Entrances to Experimentation, Oman Printers and Stationery

- بن أحمد بوكر (وديعة بنت عبدالله)، (٢٠١٨)، دور المصورين المستشرقين في حفظ التراث العربي في القرن ١٩م، مجلة الفنون والعمارة، عدد ١٠، ص ٧٩٢-٧٩٣

- بهنسي (عفيف)، (٢٠٠٣) الفن التشكيلي العربي، الأولى للنشر والتوزيع

- Bahnasi (Afif), (2003)Arab Plastic Art, Al-Oula for Publishing and Distribution

- بهنسي، عفيف، (٢٠٠٤) خطاب الاصالة في الفن والعمارة، دمشق: دار الشرق للنشر، الطبعة الأولى

-Bahnasi, Afif,(2004) The Discourse of Authenticity in Art and Architecture, Damascus Dar Al-Sharq Publishing House, first edition

-بهنسي، عفيف، ١٩٩٧، معجم مصطلحات الفنون، بيروت: دار الرائد العربي،

-Bahnasi, Afif, 1997, Dictionary of Arts Terms, Beirut Dar Al-Raed Al-Arabi.

- جان (لاكوست)، (٢٠٠٥)، الفن الشكيلي نقد الابداع وابداع النقد، دار الفكر اللبناني، ٢٠٠٥

- Jean (Lacoste), Fine Art, Criticism of Creativity and Creativity of Criticism, Lebanese House of Thought, 2005

-خميس، شرين، الافادة من الامكانات التشكيلية للخامات المستحدثة في اثراء القيم التعبيرية للوحة التصويرية من خلال توظيف السطح والفراغ-رسالة دكتوراه-كلية التربية النوعية-جامعة عين شمس- ٢٠٠٨

khamis, shyryn -al'iifadat min al'iimkanat altashkiliat lilikhamat almustahdithat fi athra' altaebiriat lilawhat altaswir 'athna' tawzif alsath walfaragha-risalat dukturaha-kuliyat altarbiati-jamieat eayan shams-2007

-خليل محمد الكوفحي، (٢٠٠٦)مهارات في الفنون التشكيلية .الاردن: جامعة اليرموك، عالم الكتب الحديث

-Khalil Muhammad Al-Kofhi, (2006) Skills in Plastic Arts. Jordan Yarmouk University, The Modern World of Books

-سليم، أحمد، (١٩٩٩)الخصوصية بين الهوية والعولمة،الحركة التشكيلية المصرية الحاضر والمستقبل، مؤتمرنقابة الفنانين لتشكيليين، القاهرة

- Selim, Ahmed,(١٩٩٩) Privacy between identity and globalization, the Egyptian plastic movement, the present and the future, the Artists Syndicate for Plastic Artists Conference, Cairo

- شافعي(غادة)، ٢٠٢١، الرمز الامازيغي واثره على الفن التشكيلي، مجلة بحوث في التربية الفنية والفنون، عدد٢، ص ١٦١.

- قانصو (اكرم)، (١٩٧٨) التصوير الشعبي العربي، سلسلة المعرفة

-Kanso (Akram), 1978, Arab Folklore, Knowledge Series,

- قائمة التراث الثقافي غير المادي الذي يحتاج الى صون عاجل، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، ٢٠٠٩

-List of Intangible Cultural Heritage in Need of Urgent Safeguarding, United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization2009

- قويعة (خليل)،(٢٠٠٧) تشكيل الرؤية تأملات من تجارب تشكيلية من تونس، تونس: المطابع الجديدة للجنوب

- Kouaia (Khalil), (٢٠٠٧)Shaping the Vision : Reflections from Fine Arts Experiences from Tunisia, TunisiaNew Presses of the South,,,

- عبد الحميد، هادية، الشرق الأوساط، ٢٤ جويلية ٢٠١٩

-Abdel-Hamid, Hadia, Al-Sharq Al-Awsat, July 24, 2019

-عالم المعرفة، (٢٠١١)، الثقافة والمساواة...، عدد٣٨

-The World of Knowledge, (2011) for Culture and Equality..., No. -38

-لعامري، (محمد حمود)، (٢٠٢٠) النصالبصري المعاصر في سلطنة عمان.في كتاب كتارا: ركائز الحداثةوالتمرد وما بعدهاالمؤسسة العامة للحي الثقافي-كتارا،

-Lamri, (Muhammad Hammoud.). (٢٠٢٠) The Contemporary Visual Text in the Sultanate of Oman. In the book Katara: Pillars of Modernityand rebellion and beyond. (144-99, General Foundation for the Cultural Village – Katara

-مرزوق (محمد عبد العزيز)، (١٩٧٠) الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والاندلس، دار الثقافة لنشر والتوزيع

-Marzouk (Mohamed Abdel Aziz)(١٩٧٠) Islamic Decorative Arts in Morocco and Andalusia, Dar Al Thaqafa for Publishing and Distribution